

التفاعل مع الجمهور/ تقديم الطعام المجاني الفنان/ ريركريت تيرافانيجا

ولد الفنان (Rirkrit Tiravanija) – ريركريت تيرافانيجا في بيونس آيرس بالارجنتين، تخرج من كلية اونتاريو للفنون – كندا، تورنتو في عام 1981م، وبعدها التحق بغيرها من المدارس والمعاهد المتخصصة بالفنون الجميلة في كل من كندا، و شيكاغو، ومن ثم عمل وعاش في نيويورك.

اذا ما اردنا الحديث عن ريركريت تيرافانيجا لا يمكن للمشاهد ان يتجاهل المشهد المتكرر في حياته التومية، فقد يصدم المشاهد اذا ما رأى مشهد تلك المرأة المتسائلة امام اكوام الصحن المتسخه وسط فيضان المغسلة، متسائلة : " اذا هل ستغسل هذه الصحن يوما من الايام؟! " حينها يجيب تيرافانيجا : " لا، لأنه هو في الحقيقة عملا تركيبيا، قمت بعمله وقد اسميته - بعد وجبة الطعام " هكذا هي اعمال تيرافانيجا فالوجبات و الصحن المتسخة خلقت أشكالاً فنية متنوعة، إلا انه لا يقدم فقط الطعام المجاني، بل أيضا الاسرة المجانية للنوم، والتمتع بالموسيقى المنبعثة من استوديوهاته الخاصة. هذه التصرفات الكريمة المجانية تضمن تفاعلا من قبل الجمهور والتي تضمن استمرارية العلاقة بين فنه وجمهوره، بل ان طريقة تواصل تيرافانيجا الفنيه مع جمهوره هي نموذجاً للكرم والعطاء.

تيرافانيجا من اولئك الفنانين الذين تخلوا وانكروا - بشكل شبه تقريبي- كل الفرضيات العامه حول الفن. فهو مثلا يؤيد فكرة ان الفن شيء فني جمالي، يتشكل من ممارسات ونشاطات فردا مختصا، إلا انه في ذات الوقت يحرص الجمهور للتأمل والملاحظة، يقول تيرافانيجا : " على الرغم من انني رفضت الممارسات الفنية السائدة في طريقة تقديمي للفن، الا انني مازلت اريد ان اكون فنانا، فهناك الكثير ممن واجهوا مثل هذه المعضلة، ففضلوا ان يتجهوا اتجاها آخر في مهن أخرى غير الفن، إلا انني افضل دوري كفنان، والذي يتلخص في البحث بكل دقة وتفصيل عن كل سمة يمكن لعالم الفن ان تكتسبها، شرط ألا يسبقه إليه أحد، فهذا بالنسبة لي هو المحفز الذي يدفعني للغضب و التمرد، بأسلوب منظم فيه ايجابية، والذي يمكنني من تقديم قوانين و قواعد جديدة خاصة كنموذجا جديدا للممارسات الفنية التي ارتبطت برؤيتي الاخلاقية والاجتماعية".

تيرافانيجا يرحب بالجمهور ويقوم بانتاج اعماله امام جمهوره، من خلال النشاطات اليومية المألوفة، ما يميز اعماله، انها تشتمل على ممارسات ليست فقط مخالفة للفن بل انها مرفوضه في المتاحف بشكل عام. فمعارض تيرافانيجا أقيمت معظمها في متاحف وقاعات عرض رفيعة المستوى، فهو يمنح الجمهور فرص المتعة والمشاركة، ففي عنوان لاحد اعماله (هيا نرقص) ندرك هذه الدعوة الصريحة للمشاهد و للجمهور بالرقص والتمرد في قاعات العرض بالمتحف، كذلك (مباراة كرة القدم بين الفنانين والمقيمين) تيح للزوار التمتع بمشاهدة مباراة حية في ارجاء المتحف، وايضا عمله الذي يزود جمهوره بالفراش ذو اللون البرتقالي ليتمكن من اخذ قيلولة او غفوه في قاعة العرض، وغيرها من الممارسات كالاستمتاع بالموسيقى باستوديو مجهز بالآت موسيقية واجهزة تسجيل. مما سبق نجد ان هناك حوار ومناقشات عامة في ارجاء المعرض، فهو يقوم ايضا بدعوة الجمهور والفنانين للمشاركة في مناقشة فنية عامة للاعمال المشاركة بالمعرض، هذه المناقشات تختلف عن المناقشات المصاحبة للمعارض، كونها منظمة من قبل الفنان يصاحبها قصدا مغايرا تضاف كسمة لعمله الفني.

نرى ان تيرافانيجا لم يلغى دوره في انتاج اعماله الفنية، فهو يقوم بالاعداد والتصميم لهذه الممارسات الفنية، فهو متحرر من شعور الانانية بداخله، حيث لا يترك لنفسه شئيا من اعماله، بل يمنح جمهوره هدية، فغرضه الاساسي من هذه الممارسات أولا خلق التجارب، وليس كهدف الآخرين، من اجل خلق اجساد او اشياء ملموسة، ثانيا خاماته المستخدمة في اعماله تمتاز بسمة الاستمرارية ضمن جدول الحياة، وذلك يأتي مختلفا عن القطعة الفنية التقليدية، فأعماله لم تعزل و تغلف لجمالها كقطع ثمينة غير وظيفية، ثالثا اعماله تحفز و ترفع من معنويات جمهوره، فهي اكثر من مجرد ملاحظة وتأمل لطريقة عرضها، فالجمهور هو صاحب القرار وله ان يقرر طبيعة التجربة و مدى نجاحها، رابعا اعمال تيرافانيجا تشرك الجمهور بالعمل نفسه فبذلك يصير الجمهور متعاوناً مع الفنان في نشاطه، الامر الذي يمنحه منزلة في الفن.



كل تلك التجاوزات جعلت من تيرافانيجا من اوائل من اشتهر في عالم تجاوزات الفن، كادخال الاكل، الامر الذي تجاوز تقديم الخبز والجبن العادي أو حتى البسكوت، بل عرض وجبة طعام كاملة، شكلت هذه الوجبة معرضه وعمله الفني، فهو يرحب بالحضور ومن ثم يدعوهم للاستمتاع بالطعام، في اي وقت واي زمن، فهو متواجد في اثناء فترات العرض لا يتغيب ابدا، ويمنح الجمهور فرصه للحوار، بل و يزويدهم بوصفة المكونات التي تمكنهم من اعداد الوجبات بأنفسهم. كانت بداية تيرافانيجا بانتاج اعماله من هذا النوع في عام 1992 ومن ثم عرضها في 1995م، حين ابتدع معرضه (بدون عنوان) في غاليري (33) في منهاتن، خلال العرض حول تيرافانيجا الغرفة الخلفية للغاليري الى مطبخ مؤقت معد ومجهز بالمعدات الخاصة بالطبخ، من ثلاجة، طبخة، مقلات ، طاولات، مقاعد، الواح تقطيع، ادوات للمائدة، فتاحة علب، صحن، اكواب بلاستيكية، أباريق للشاي، أرز، توابل، منتجات غذائية للطهي... وغيرها. قام تيرافانيجا بإعداد وجبات خفيفة وسريعة للزوار، في دار العرض لمدة 7 أيام، حتى اعتاد بعض الزوار على زيارة مطبخه والاستمتاع بوجباته، كانت تلك التجربة بالنسبة للجمهور تجربة فنية بصرية مليئة بالالوان ، بالوان الخضار، البخار، الاكالات المقلية، الروائح المنبعثة من الاطعمة، الاصوات، الاحاديث، الضحكات، صوت صفارة الغلاية، وأخيرا المذاق الغني لأطعمة الكاري الحار والارز التايلندي. وفي كل عرض نرى تفاعلا و بيئة حميمية تختلف عن بيئة الغاليري الفني، كمكان لم يعرف قط بالمرح، الاتصال الشخصي، التفاعل، المشاركة و الاكل. ففي اماكن العرض و على الرغم من ان شكل قاعات العرض لم تتغير بشكل كبير في كل مرة يعرض فيها العمل، إلا ان التأثيرات الحسية كانت تتغير في كل تجربة يمر بها عرض العمل، فبناءا على رغبة الفنان كدست الصحن الورقية المتسخة، أكواب الطعام المستعملة، كذلك بقايا الوجبات ...إلخ، فأصبحت المكونات البصرية عبارة عن فوضى قمامة، فقد سيطرت رائحة الطعام الفاسد على حاسة الشم، هنا بالطبع اراد تيرافانيجا ان يربك الجمهور و ان يمارس سلطته في السيطرة والسيادة.



ان القاعدة المدونه في اعمال تيرافانيجا التي ورد ذكرها في كتاب (Making Contemporary Art- Lina Weintraub) - (كتاب صنع الفن المعاصر- للكاتبة/ ليندا وينتراوب)، لا تفرض على الفنان ان ينتج شيئا جديدا، فعندما عرض عمله في نفس المعرض لمدة ثلاث سنوات، هو هنا ينتهك ويغير المؤلف، فلا علاقة لعلم الجمال والابداع بهذا، بل هو تحريض للتركيز على العلاقات، على مستويات الاتباط، و الاتجاه نحو التعميق، ليغير العلاقة بين كلا من الموضوع و الشيء. فهو يفضل نحت السلوك الاجتماعي على ان يركز انتباهه نحو انتاج جسم مادي محسوس، كان ذلك ظاهرا في طفولة تيرافانيجا ، فقد كان دائما مأسورا بالناس وليس بالقطع النادرة، وعلى نفس النمط تركز اعماله الفنية، من خلال الناس وتفاعلاتهم، أثناء الاكل، وليس على الطعام نفسه، لذلك كان الطهي من ممارساته اليومية على الرغم انه ليس بطاهي ماهر، فالطهي الجيد قد يصرف الناس عن المكون الاجتماعي لعمله، لذلك هو يقدم اعماله و طعامه على اطباق ورقية وليس على اطباق زخرفية فاخرة. هذا القرار كان قراره وليس تحت تأثير قيود ميزانية او من باب الاهمال، فطبيعة وحبته المتواضعة لها بعيد الاثر للترحيب بأولئك الخائفين من الفن المعاصر، فهو بهذه الطريقة لا يحتاج لأن يكون عمله ضمن سوق الفن، فهو قادر على ان يستهلك عمله، فعندما يكون العمل الفني منتج اجتماعي، يمكن لأي شخص ان يقتنيه.

تيرافانيجا بضيافته و اسكانه للمشاهدين، في متاحف فينسيا، بيتسبورو، غلاسغو، شيكاغو، ستوكهولم،... وغيرها، احيانا يقوم برسالة ترحيبية مباشرة للناس، فعلى سبيل المثال (من مطار مدريد الى ريناصوفيا- 1994) كان يقطع الطريق من المطار الى المتحف بدراجته، التي صممت لتكون بمثابة طاوله متحركة تحمل غاز، وحاوية علقت بظهرة بها كل ما يحتاجه للطهي من (توابل، مواد غذائية، صحن، ...) فقد كان يتوقف و يطبخ لأي شخص يصادفه في الطريق، حتى بدأ بتكوين مجموعات من الناس جذبتهم المناقشات والاحاديث المؤنسة و الذين على الاغلب لم يكونوا جياعا. وفي مكان العرض نرى آلة التصوير بالفيديو، التي تسجل المشاهد و الاصوات خلال النزاه، لمدة خمسة أيام، هذا التوثيق للعمل جزءا مهما من تركيب العمل، حيث علق تيرافانيجا آلة التصوير في دراجته، فكانت تتمايل في انحاء المكان، وكانت اللقطات المأخوذة متسلسلة و متأثرة بحركة الدراجة العشوائية، وليس نتيجة لتصوير الفنان، يقول تيرافانيجا : " كنت اتمنى لو ان الكاميرا تبقى وتصور كل شي في كل وقت حتى ينتهي التصوير مع انتهائها".

للفنان تيرافانيجا موقفا تجاه سوق الفن، فعندما سؤل اذا ما كان قد باع اعماله اجاب قائلا: " هناك اختلاف في تعاقب اعمالى، فالمشكلة الاولية هي اننى كنت اقوم بالطهى، واجلس انتظر شخصا ليأتى ويأكل، وبعد ذلك حلت المشكلة حيث قمت بطهى الطعام و من ثم تقديمه، بعدها قمت بالطهى فقط ليوم واحد، حينها لم تتح الفرصه للجميع بان يصلوا ويأكلوا، لذلك ذهبت الى الشارع حيث عامة الناس طهوت فى الخارج، وعندها قام الناس بشراء القمامة، هنا قمت ببيع العمل فقط كبقايا للعمل، وبعدها ادركت بأن هذه العملية لا تخدم فكرة العمل، لذلك توقفت عن بيع القمامة وقمت ببيع القدور وأواني الطبخ، والتي يمكن للناس بواسطتها ان يقوموا باستخدامها للطهى، والتي بواسطتها يمكن ان يصنعوا تلك القمامة، تماما كما هو حال الفن، يمكن من خلاله ان تصنع وتخلق مشاكل جديدة.